ورقة عمل:

حول " تطوير منهجية وضع المصطلح العربي وبحث سبل نشر المصطلح الموحد وإشاعته"

د.أحمد شفيق الخطيب

رئيس قسم المعاجم

بمكتبة لبنان - بيروت

تمهيد

المصطلح غدا اليوم ضرورة حضارية في عصر انفجار المعلومات. كما يسمون عصرنا. فالمعرفة تنمو بسرعة هائلة، والمصطلحات تتزايد بالعشرات يوميا - إضافة إلى المكدّس منها ولّما نعالجْه. ولجعل المواطن العربي، عالما كان أو مثقفا عاديا، يعايش روحية هذا العصر لابد أن يكون على وعي بالأفكار والمفاهيم السائدة في العالم الذي يعيش فيه. وقد لانعدو الحقيقة إذا قلنا إن احتياج أمتنا العربية اليوم إلى المصطلحات العلمية العصرية يوازي بل ويسبق احتياجاتها إلى جميع وسائل التقدم الحضاري.

لقد تميزت اللغة العربية بأنها عرفت منذ دونت لغة فذة بين اللغات غنىً وفصاحة ومقدرة على التعبير ووفاء بحاجات القوم في نطاق بيئتهم الطبيعية وتعاملهم فيما بينهم ومع البيئات الأخرى من حولهم. وقد أهلها ذلك لارتقاء قمة البيان الإنساني في القرآن الكريم.

والذي يتتبع تاريخ المصطلح العربي يلحظ أنه خضع منذ القدم لسنة النشوء والارتقاء فيها وتطور على الزمن - كما نشهده في الشّعرالجاهلي. فالعرب في الجاهليّة ، وإن كانوا جاهليين دينيا ، لم يكونوا جاهليين حضاريا وهم جسر التجارة والتبادل ومحطّ القوافل بين حضارات العصر. لقد كان العرب الشماليون، غساسنة ومناذرة، كما العرب الجنوبيون، يمانيين وخليجيين، على اتصال دائم بحضارات الروم والفرس والهنود والأحباش - وإلاّ كيف استوعبت عربيّة قريش التي نزل بها القرآن الكريم مصطلحات، لا من جميع اللهجات العربيّة فقط، بل من الإغريقية والفارسيّة والأثيوبيّة أيضا - كما هو معلوم.

ولعلّ ثورة المصطلح العربي والحضارة الإسلامية بمجملها بدأت مع الإسلام، وبالقرآن على وجه الخصوص. لقد كان القرآن أكثر من حدث ديني روحي ، لقد كان حدثا حضاريّا - اجتماعيّا ولغويّا وثقافيا أيضا. فمنذ القرن الأوّل للهجرة بدأت مصطلحات العلوم الإسلاميّة في الفقه والتفسير وعلم الكلام تترسّخ وتعمّ ، ثمّ تلتها مصطلحات كثيرة جدّا في السياسة والإدارة منذ أمر عبد الملك بن مروان بتعريب الدواوين، فأقبل الكتّاب من غير العرب على تعلّم العربيّة وطعّموها بمصطلحاتهم. ثم توالت مصطلحات الطب والكيمياء والفلك والطبيعة والفلسفة مع ازدهار الحركة العلميّة برعاية المأمون بخاصة في بيت الحكمة، أول مؤسسة علميّة لتعريب العلوم، على يد مترجمين محترفين كآل بُختَيشوع وآل حُنين وآل

مُوسَويه وآل قُرّة، وآخرون من أمثال ابن المقفّع والبيروني وابن مسكويه ؛ واللافت أنّ معظم هؤلاء التراجمة كانوا علماء ومترجمين في آن. وتعاظمت حركة الترجمة والتعريب،فما إن حلّ القرن الرابع الهجري حتى كانت لغة العلم والمعارف المختلفة قد تكاملت ، فغدت العربيّة لغة العلم وحاملة مشعل الحضارة في القرون الوسطى.

و لم يكن المصطلحيون العرب يبالون أن يكون المصطلح عربيّا أصيلا أو معرّبا دخيلا --وربما آثروا المعرّب إذا كان أدخَلَ في المعنى وأكملَ في الأداء، فترى الفارسيات في مصطلحات الإدارة والحضارة، وتلحظ السّريانيات واليونانيات في علوم الفلك والصيدلة والطب والفلسفة. وتداول الباحثون في المشرق والمغرب هذه المصطلحات فلم تختلف من قطر إلى قطر. لقد كانت لغة العلم واحدة في قرطبة والقَيْروان والفُسطاط ودمشق وبغداد وأصفهان، وبدئ بتسجيلها في المعاجم والمؤلفات – وأصبحت المكتبة العربيّة تضم الكتب العلميّة في الرياضيات والطبيعة والطب والنبات والحيوان والجغرافية والفلك – مؤلفاتٍ ظلّ الكثير منها يدرّس في جامعات أوروبا طوال عدّة قرون. ونذكر أن بعضا من المؤلفات العلميّة اليونانيّة والسريانيّة ضاعت أصولها فلا تعرف إلاّ من خلال ترجماتها العربيّة.

ومن المصطلحات العربيّة سرى الكثير إلى اللاتينية منذ بدايات عصر النهضة الأوروبية، عبر طُلَيْطِلة، إلى جامعات مثل جامعة مونْبلْييه التي استمرّت تُدرِّس مؤلّفاتِ ابن سينا في الطبّ حتى أوائل القرن الثامن عشر.

ومع تهاوي الامبراطورية العربيّة سياسيّا واجتماعيّا وعسكريّا – ذلك السقوط الذي اكتمل بالسيطرة العثمانية على معظم أرجاء العالم العربي، شُلّ النشاط العربيّ العلمي والفكري والاجتماعي، وران على المنطقة عهد من الظلمة والجهل امتدّ خمسة قرون.

مع إطلالة القرن التاسع عشر، وبخاصة بعد حملة نابليون تفتّحت الأعين – وبخاصة أعين الحكام على الحضارة الأوروبيّة ، فما إن تسلّم محمد علي مقاليد السّلطة عام 1805 حتى عكف على نقل مدنية الغرب إلى مصر عن طريق المعاهد العسكريّة والطبيّة والهندسيّة والألسنية، وعن طريق البعثات إلى معاهد الغرب للتعلّم والتخصّص . وبرزت أهمية الترجمة والمصطلحات ودورها في نقل المعارف والمعلومات والتّقانيات مع افتتاح المعاهد وإعداد مقرّراتها. لقد جعل محمد علي الترجمة (بما تقتضيه من فيض مصطلحي) إحدى وسائله لنقل علوم الغرب وحضارته فأسّس قلم الترجمة عام 1841م وكان يفرض على المدرّسين وتلاميذ البعثات أن يترجموا الكتب التي تعيَّن لهم وأن تكون ترجماتهم متقنة وسليمة من الخطأ – وبذلك وضع مصر والمشرق عموما على درب الحضارة ومدارجها.

أوّل مَعْلَم مصطلحيّ مشهود في هذه الفترة هو ما تمّ بجهود كلية الطب في القاهرة التي بدأت تدريس الطب بالعربية عام 1826م.فقد شعر ناظرها الدكتور بيرون ومساعدوه بمسيس الحاجة إلى ترجمة معجم شامل في العلوم الطبيّة – فاستحضر من باريس "قاموس القواميس الطبيّة" لفابر، في ثمانية مجلّدات، تشمل جميع الاصطلاحات العلمية والفنيّة في الطب والحيوان والعلوم الأخرى.

وقد تعاونت مدرسة الطب بكل هيئاتها على ترجمة هذا القاموس إلى العربيّة ، فوزّعه الدكتور بيرون على مهرة المدرّسين (بإشراف أستاذه في العربيّة محمد عمر التونسي) لينجز كلّ منهم قسما منه - و لم يكتف الدكتور بيرون بذلك بل أراد أن يكون القاموس الجديد جامعا أيضا للألفاظ والمصطلحات الطبية القديمة. فأتى بالقاموس المحيط للفيروزأبادي،ووزّعه على أفراد الهيئة، وأمر كلاّ منهم أن يراجع الجزء الذي بيده، وينتقي منه كلّ لفظ دلّ على مرض وكلّ اسم نبات أو معدن أو حيوان(1).

وقد عزّز هذا الجهد إنجازات الروّاد في معهد الطب في الكلية السورية الإنجيلية في بيروت (الجامعة الأميركية فيما بعد) التي رافقت تدريس العلوم الطبية فيها باللغة العربية بمنهج عصريّ ومستوى راق منذ تأسيسها عام 1867 على يد أمثال فان دايك وبطرس البستاني وبوست ويوسف الأسير ووُرتَبات وأحمد فارس الشدياق وغيرهم.

لكن الاحتلال البريطانيّ سرعان ما أجهض حركة انبعاث العربيّة العلمية في مصر، فحوّل لغة التعليم في كلية الطب وسواها إلى اللغة الإنكليزية عام 1887م. وما هي إلاّ سنوات ثلاث حتى تحوّل المسؤولون في الجامعة الأمريكية في بيروت أيضا إلى التدريس بالإنكليزية. فضاعت على العربية بذلك فرصة لما نستطع تعويضها.

لكنّ جهد المخلصين لاَنِي - فما إن حطّت الحرب العالمية الأولى أوزارها وزال نِيرُ العثمانيين حتى عادت حركة الاستعراب تثور في نفوس المخلصين. فقام معهد الطب في دمشق عام 1919 على أنقاض كلية الطب التركية - وبقرار شجاع تمّ العزم على جعل العربية لغة التدريس فيه.وراح الروّاد من أساتذة المعهد من أمثال مرشد خاطر وحمدي الخياط وجميل الخاني وصلاح الدين الكواكبي يرسّخون معلما آخر مصطلحيا في مسار ابتعاث العربية العلمية. فبرهنوا مجدّدا أن العربية لاتعجز عن استيعاب العلم بمختلف فروعه حين تتضافر النية الطيبة مع الجهد الرّصين. وعزّز مسيرتهم مجمع اللغة العربية في دمشق (المجمع العلمي العربيّ حينئذ) الذي تأسّس في العام نفسِه وضمّ بعضا من روّاد المعهد الطبي آنذاك.

ويقيني أنه لو استمرّت جهود معهديْ الطب في القاهرة وبيروت لتتضافر مع جهود رجال المعهد الطبي، المفخرة القومية المستمرة ، في دمشق، لتغيّر مسار العلم والثقافة عموما في الوطن العربي، ولما كانت معظم موادّ العلوم الطبيّة والتقنيّة تدرّس بلغات أجنبيّة في جامعاتنا العربيّة السّبعين!

المعلم الثالث في مسار المصطلح العربي وعودة انبعاث العربية العلميّة برزت بوادره في مصر قبل خمسة وثمانين عاما في بيان رافق إنشاء نادي دار العلوم ألقاه محمد حفني ناصف، وكان مقدمة لإنشاء مجمع اللغة العربية في القاهرة عام 1934.

يقول البيان "إنّ غرض النادي هو البحث في اللغة العربية عن أسماء للمسمّيات الحديثة بأيّ طريق من الطّرق الجائزة لغة - ترجمة (كتناضُح واستحلاب) أو اشتقاقا (كمِحْرار ومكشاف) أو مجازا (كطيّارة ودبّابة) أو تضمينا (كمثفاق ومطياف) أو تركيبا (كبرمائي ولاسلكي). فإذا لم يتيسّر ذلك بعد البحث يستعار اللفظ الأعجميّ بعد صقله ووضعه على مناهج العربيّة، ويستعمل في الفصحى بعد أن يعتمده المجمع اللغويّ الذي سيؤلّف لهذا الغرض(2).

ثمّ كان المجمع، بل المجامع (3) وفي صلب أهدافها، لاوضعُ آلاف المصطلحات التي كانت (وتظلّ) تلحّ إليها الحاجة فقط، بل لمنهجة وتنظيم وضع هذه المصطلحات أيضا -باعتبار أن العمل المصطلحي لايمكن أن يقتصر العمل فيه على المجامع فقط، فهو حاجة يومية ضرورية لمواكبة ركب الحضارة وتقنياتها وإنجازاتها.

وقد تحققت هذه المنهجة بشكل شبه متكامل في توالي الرّبع الأول من هذا القرن، وتوضّحت معالمها في أعمال ومحاضر مجامع اللغة – وبخاصة إنجازات شيخها مجمع اللغة العربية في القاهرة، كما في أعمال أفراد من الروّاد أذكر منهم:

محمد شرف في "معجم العلوم الطبيعية والطبية" القاهرة 1926، وأمين المعلوف في "معجم الحيوان" القاهرة 1930، وأحمد عيسى في "معجم أسماء النبات" القاهرة 1932، والأمير مصطفى الشهابي في " معجم الألفاظ الزراعية" ط 1 – دمشق 1943، وط 2 – القاهرة 1957، وحسن حسين فهمي في " المرجع في تعريب المصطلحات العلمية والفنية والهندسية"، القاهرة، 1958.

وكانت هذه المنهجيّة موضوعا شاغلا عالجه العديد من المعجميّين في معاجمهم، وتدارسه العديد من المؤتمرات والنّدوات وبخاصة " ندوة توحيد منهجيّات وضع المصطلحات العلمية" التي عقدت في الرباط 1981 وخرجت بمنهجيّة شاملة جمعت المبادئ الأساسية في وضع المصطلحات العلمية قديما وحديثا. ولعلّ من المناسب أن أُورد هذه المبادئ ومقدمتها في ما يلي، لأني سأختار بعض بنودها مدارا لحديثي اليوم.

ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلحات العلمية الجديدة – الرباط

(18 - 20)فبراير 1981

بناء على اقتراح من السيد وزير التربية الوطنية وتكوين الأطر في المملكة المغربية واستجابة للسيد المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، نظم مكتب تنسيق التعريب التابع للمنظمة في الفترة18 20 - فبراير (شباط1981)بالرباط ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلحات العلمية الجديدة اشتركت فيها الهيئات الآتية:

1 - أمانة التعليم الليبية
2 - جامعة محمد الخامس بالرباط
3 - دائرة التربية والتعليم العالي بمنظمة التحرير الفلسطينية
4 - اللجنة السورية للمواصفات والقياسات
5 - اللجنة الوطنية المغربية لتخطيط التعريب
6 - المجمع العلمي العراقي
7 - مجمع اللغة العربية الأردني
8 - مجمع اللغة العربية في دمشق
9 - مجمع اللغة العربية في القاهرة
10 - المركز الثقافي الدولي بالحمامات – تونس

11 - معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط

12 - دائرة المعاجم، مكتبة لبنان

13 - المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس

14 - وزارة التربية والتعليم التونسية

15 - وزارة التربية والتعليم الجزائرية

16 - وزارة التربية والتعليم العراقية

وبعد النظر في المنهجيّات والبحوث المقدمة من المجامع اللغوية والعلمية والمؤسسات المختصّة والباحثين أقـرّت المبـادئ التالية:

المبادئ الأساسية في اختيار المصطلحات العلمية ووضعها

1 - ضرورة وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة بين مدلول المصطلح اللغوي ومدلوله الإصطلاحـي، ولايشـترط في المصطلح أن يستوعب كلّ معناه العلمي.

2 - وضع مصطلح واحد للمفهوم العلمي الواحد ذي المضمون الواحد في الحقل الواحد.

3 - تجنّب تعدّد الدّلالات للمصطلح الواحد في الحقل الواحد، وتفضيل اللفظ المختص على اللفظ المشترك.

4 - استقراء وإحياء التّراث العربي، وخاصة ما استعمل منه أو ما اسـتقرّ منـه مـن مصطلحـات علميـة عربيـة صالحـة للاستعمال الحديث وما ورد فيه من ألفاظ معرّبة.

5 - مسايرة المنهج الدّولي في اختيار المصطلحات العلمية:

أ – مراعاة التقريب بين المصطلحات العربية والعالمية لتسهيل المقابلة بينهما للمشتغلين بالعلم ودارسيه.

ب – اعتماد التصنيف العشري الدّولي لتصنيف المصطلحات حسب حقولها وفروعها.

ج – تقسيم المفاهيم واستكمالها وتحديدها وتعريفها وترتيبها حسب كلّ حقل.

د – اشتراك المختصّين والمستهلكين في وضع المصطلحات.

هـ– مواصلة البحوث والدراسات ليتيسّرالاتصال على الدوام بين واضعي المصطلحات ومستعمليها.

6 - استخدام الوسائل اللّغوية في توليد المصطلحات العلمية الجديدة بالأفضليّة ،طبقا للترتيب التالي: التراث، فـالتوليد – بما فيه من مجاز واشتقاق وتعريب ونحت.

7 - تفضيل الكلمات العربيّة الفصيحة المتواترة على الكلمات المعرّبة.

8 - تجنّب الكلمات العاميّة إلاّ عند الاقتضاء، بشرط أن تكون مشتركة بـين لهجـات عربيـة عديـدة، وأن يشـار إلى عاميّتها بأن توضع بين قوسين مثلا.

9 - تفضيل الصّيغة الجَزْلَة الواضحة وتجنّب النافر والمحظور من الألفاظ.

10 - تفضيل الكلمة التي تسمح بالاشتقاق على الكلمة التي لا تسمح به.

11 - تفضيل الكلمة المفردة لأنّها تساعد على تسهيل الاشتقاق والنّسبة والإضافة والتثنية والجمع.

12 - تفضيل الكلمة الدقيقة على الكلمة العامّة أو المبهمة، ومراعاة اتّفاق المصطلح العربي مع المدلول العلمي للمصطلح الأجنبي، دون تقيّد بالدّلالة اللفظية للمصطلح الأجنبي.

13 - في حالة المترادفات أو القريبة من الترادف تفضّل اللفظة التي يوحي جذرها بالمفهوم الأصلي بصفة أوضح.

14 - تفضّل الكلمة الشائعة على الكلمة النادرة أو الغريبة إلاّ إذا التبس معنى المصطلح العلمي بالمعنى الشائع المتداول لتلك الكلمة.

15 - عند وجود ألفاظ مترادفة أو متقاربة في مدلولها، ينبغي تحديد الدّلالة العلمية الدقيقة لكلّ واحد منها، وانتقاء اللفظ العلمي الذي يقابلها. ويحسن عند انتقاء مصطلحات من هذا النوع أن تُجمَع كلّ الألفاظ ذات المعاني القريبة أو المتشابهة الدّلالة وتُعالَج كلّها مجموعة واحدة.

16 - مراعاة ما اتّفق المختصّون على استعماله من مصطلحات ودلالات علمية خاصة بهم، معرّبة كانت أو مترجمة.

17 - التعريب عند الحاجة، وخاصة المصطلحات ذات الصّيغة العالميّة- كالألفاظ ذات الأصل اليوناني أو اللاتيني أو أسماء العلماء المستعملةِ مصطلحاتٍ، أوالعناصر والمركبات الكيماوية.

18 - عند تعريب الألفاظ الأجنبية، يراعى ما يأتي:

أ - ترجيح ما سَهُل نطقه في رسم الألفاظ المعرّبة عند اختلاف نطقها في اللغات الأجنبية.

ب - التغيير في شكل المصطلح المعرّب، حتى يصبح موافقا للصيغة العربية ومستساغا.

ج - اعتبار المصطلح المعرّب عربيّا، يخضع لقواعد اللغة ويجوز فيه الاشتقاق والنحت وتستخدم فيه أدوات البدء والإلحاق، مع موافقته للصيغة العربية.

د - تصويب الكلمات العربية التي حرّفتها اللغات الأجنبية، واستعمالهاباعتماد أصلها الفصيح.

هـ- ضبط المصطلحات عامّة والمعرّب منها خاصّة بالشكل حرصا على صحة نطقه ودقّة أدائه.

في توليد المصطلحات الجديدة

وقد استعرضت بنود هذه المنهجيّة ، وكلّها مهمّة، لأختار منها واحدا أو أكثر يكون مدارا لحديثي اليوم معالجة وتطويرا فاخترت سادسها، ولعلّه الأوسع مجالا والأشمل تطبيقا في مجال وضع المصطلحات.

ينصّ هذا المبدأ على:

"استخدام الوسائل اللغوية في توليد المصطلحات الجديدة بالأفضليّة طبقا للترتيب التالي: التّراث، فالتوليد بما فيه من مجاز واشتقاق وتعريب ونحت."

أولوية التّراث، كوسيلة لتوليد المصطلحات الجديدة بتحرّي لفظ منه يؤدّي معنى اللفظ الأجنبيّ أو يقاربه، أمر منطقيّ وبديهيّ، بخاصة في لغة كالعربيّة غنيّة بتراثها الفكريّ والعلميّ وتجاربها الحضاريّة ممّا أتاح لها تراثا وحصيلة لغويّة قلّما تأتّت لغيرها من اللغات.

وبالفعل ساعد هذا التّراث منذ مطلع القرن التاسع عشر في إيجاد وصياغة الكثير من المصطلحات المقابلة لذاك السّيل من الألفاظ التي جُوبِهْنَا وما نزال نُجابَهُ بها. وهذا وضع لم يتسنّ للكثير من الناطقين بلغات أخرى.

أذكر للمقارنة تجربة معلّم تَنْزانيّ مع مصطلح " الكثافة" في الفيزياء، ترد في كتاب "التربية العلمية والتكنولوجية في التنمية الوطنية" ، وكنت ترجمته أوائل الثمانينيّات . يقول الأستاذ: كان عليّ أن أشرح مفهوم " الكثافة" density ،وليس في لغتنا السّواحليّة لفظ لهذا المفهوم. فطلبت من التلاميذ إحضار قطع متساوية الحجم من الخشب والطّين والفلّين والحديد، توضّح بالميزان أنّ ثقلها مختلف. فقرّرنا، الطلاب وأنا، أنّ: الثقل "أُوزيتو - بالسّواحلية" مختلف. وفي معالجتنا سبب هذا الاختلاف، علّله الطّلاب بأن " الثّقل" في الحديد "مَرْصوص"، وهذا الثقل ليس عارضا ولا مضافا ولا طارئا، بل أصيلا في المادة. فخرجنا بمصطلح " أوزيتو وأصيلي" - بالعربية " الثقل الأصيل". وهكذا أدخلنا إلى اللغة السّواحلية مصطلحا جديدا.

الحمد لله أنّا لم نُجابِهْ سيل المصطلحات المتدفّق في ظروف وواقع المعلّم السّواحلي، فقد أفاد الرّوّاد ومن تبعهم من ذلك الرّصيد الفكري والعلميّ في تراث العربيّة المجيد. لكنّ هذه الإفادة ظلّت محدودة. فلم يفد منها عمليّا إلاّ قلّة من الروّاد الذين تسنّى لهم، إضافة إلى سعة الاطّلاع اللغوي، سعةُ اطّلاع في مادة التراث التي لها تعلُّق باختصاصاتهم - لأن سعة الاطّلاع اللغويّ في أقصاها لاتتجاوز مادة المعجم العربي؛ والمعاجم العربية للأسف لم تُعِرْ هذه الناحية الاهتمام الذي نرى نحن اليوم أنها تستحقّه. فالمعجميّون العرب في محاولاتهم جَمْع اللغة، حتى في أوسعها، أهملوا جلّ ما اعتبروه منافيا لمفهوم الفصاحة الذي انطلقوا منه. فهم حصروا الفصحى زمانا بعصور معيّنة (ليس منها عصور الازدهار العلميّ العربي)، ومكانا بجماعات معيّنة (ليس منها جماعات العلم)، فحرموا اللغة من الكثير الكثير من المصطلحات التي ازدهرت بها علوم العربيّة - بحجّة أنّها مولّدة أو أعجمية أو دخيلة أو معرّبة.

فلا غرابة أن نقرأ لكاتب فِطَحْل مثل إبراهيم اليازجي تحت عنوان "اللغة والعصر"، في مجلة البيان عام 1897 " أن الكاتب لو رام أن يصف باللغة العربيّة حجرة منامه لم يكد يجد فيها ما يكفيه لهذه المؤونة اليسيرة - فضلا عمّا ثَمَّة من آنية وأثاث وفراش وغير ذلك من أصناف الماعون والملبس وأدوات الزّينة ممّا لايجد لشيء منه إسما في هذه اللغة."

والذين حاولوا استقراء (أو مَسْح)بعض التّراث العربي بحثا عن الألفاظ المستعملة في العربيّة والتي لاترد في المعاجم، كانوا من الأجانب المستشرقين – أذكر منهم على سبيل المثال صاحب "تكملة المعاجم العربية" رينهارت دوزي الفرنسي وصاحب " مدّ القاموس" وِلْيَم لِين البريطاني، نشروها بلغاتهم – فظلت، على عدم شموليّتها، بعيدة عن متناول نقلة العلوم.

إن ما فعله المستشرقون وما قام به بعض العرب في ميادين محدّدة – كميدان الطّب مثلا – لايكفي، لاكمّا ولا كيفا. فعمليّة الاستقراء ينبغي أن تشمل كلّ ما تركه العرب في الفقه والأدب واللغة، كما في التاريخ والاجتماع والرّحلات والجغرافية وعلوم الطبّ والصيدلة والنبات والحيوان والعمران والفنون وسواها، في مظانّها المختلفة مطبوعة أو مخطوطة؛ ولا يكفي أن يقتصر الجرد على جمع الألفاظ بل ينبغي أن يورد اللفظ مع نصّ أو نصوص توضّح المفهوم أو المفاهيم التي يؤدّيها. وفي حال التراث المترجم على يد المستشرقين منذ فريتاغ ودي ساسي ودي سْلان وغيرهم حتّى اليوم، يحسن إدراج المصطلح الأجنبيّ مقابل اللّفظ العربيّ الذي ترجم منه. إنّ مَكْنَزَةً من هذا القبيل ليست مشروعا خياليّا بوجود الإمكانات الماديّة الضّخمة والتّقانات الحاسوبيّة وأدواتها الميسّرة. وأذكر أن معجم وِبْستَر الدّولي الثالث أعدّ اعتمادا على اثني عشر مليون جذاذة لألفاظ استقصيت في مظانّها وباستعمالاتها المختلفة منذ أكثر من ربع قرن – يعني قبل تطوّر ثورة الجَمْع والتنسيق حاسوبيّا.

يقول بعضهم إن إمكانات التراث تظلّ محدودة على سعتها وأهميتها، لأسباب منها أنّ علوم العصر التي تجابهنا بالآلاف المؤلّفة، بل بالملايين من المفاهيم والمصطلحات اللازمة لها، هي مفاهيم علميّة جديدة يكاد عُمْر معظمها لا يعود لأكثر من مئة عام. كما إن الكثير من المصطلحات التي يَعْمُر بها التراث، في العلوم التقليدية بخاصة، قد وضع لها اصطلاحات ترسّخت على مدى عدّة أجيال من الاستعمال، وقد لا يكون من السّهل استيعابها لتنافس المصطلحات التي استقرّت. ولا نخالفهم الرأي – لكن نقول إن مصطلحات هذا التراث يجب أن ترى النّور؛ وسيكون فيها حتما الكثير ممّا يمكن الإفادة منه قياسا أو مجازا أو استعارة أو تحوير معنى؛وكلّها من وسائل توليد المصطلح المتعارفة. كما إن المصطلح المتميّز لن يعجز عن منافسة المصطلح الأسبق إن توافرت فيه خصائص الدلالة والدقة والرّقة والعُيُوشِيّة. مثلا، مترجمو كُلُوتْ بك والدكتور بيرون عربوا " peritoneum بريتُون"، ثم جاء المنقبون في التّراث ببضع مصطلحات وجدوا أنها تؤدي مفهوم البريتون – مثل صِفاق وسِفاق وخِلْب وهُرْب وبَريطون (المعرّبة قديما). فكان أن شاع مصطلح الصّفاق، وخصّ المعجم الطبّيّ الموحّد مصطلح " السّفاق" لمفهوم اللّفافة – aponeurosis الغشاء الليفيّ الناتج عن تمدّد وتر العضلة.

كذلك عرّب المترجمون لفظ " الأُورطيaorta"، وهو من المعرّبات القديمة. ثم جاء المنقّبون بعدّة ألفاظ منها " الوَتين" و"الأَبْهَر"؛فشاع مصطلحا الوتين والأبهر، رغم أنّ المعجم الطبي الموحّد انتقى " الأبهر " كمصطلح توحيد.

أما مصطلح "مَساريقَى" المعرّب قديما، فلمّا يهتد أحد إلى بديل عنه في زوايا التراث. والظاهر أنّه باقٍ ومستقرّ.

في المقابل ترجم مصطلح occipital بلفظ " القَفا" ثمّ "القَذال"، باعتبار الكلمة تعني "قَفا الرأس أو قَفا الجمجمة"؛ وقيل في " occipital artery الشّريان القَفْوي" أو " الشّريان القذالي". ووحّدهما المعجم الطبيّ الموحّد بالقذال - باعتبار أن القذال أدقّ نوعا، فهو لغويّا " مابين الأذنين من مؤخّر الرأس"؛ فقال " الشّريان القذالي."

وجاء مؤخّرا أحد المنقّبين باكتشاف أنّ أبا القاسم الزّهراوي نابغة الجراحة في الطبّ العربي يسمّي هذا الشّريان " الشّريان الحَسيس". لكنّ هذا الاكتشاف على أهميّته التراثيّة لم يلقَ استجابة من أحد، لأسباب مصطلحيّة واضحة.

قد تكون إمكانات مكانز التراث محدودة في وضع المصطلحات الحديثة لخلوّها من مفاهيم لم تكن معروفة للبشر قبلا في أيّ زمان ومكان، لكنّها دون شكّ، ثروة لغوية ستتزايد أهميتها وفاعليتها حين يُصبح واضعو المصطلحات عندنا علماء في اختصاصاتهم، وتكون هذه الذّخيرة تراثا ميسّرا بين أيديهم.

ولا أريد تجاوز مرجعيّة التراث كمصدر مصطلحي دون أن أشير إلى ضرورة ترقية الألفاظ العاميّة، المعَبّرة السّليمةِ سليقةً وذوقا، واعتبارها قسما مهمّا من التراث اللّغوي في هذا المجال. فهي بالفعل كان لها دور في سدّ كثير من الثّغرات في مجابهة الفَيْض المصطلحيّ في هذا المجال - في مثل: بائكة وبَريمة وجُملون وحَوْش وخابور ودَبْش ورصيد وزرَدِيّة وسُنْبُك وسَوّاق وشَتْلة وصاج وصُوبة وعَوّامة وكَسْم ومَحْصَلة ومَكّوك ووَرْشَة - من الأسماء؛

أو من الأفعال: خوَّش ، ودَلَف، وقَرِف، وحَوَّش، وملَخَ، وسَيَّب وشَوَّر.

وما أحْرانا، بكلمات الأستاذ محمود تيمور " أن نعرف لهذه الألفاظ حقّها في العربيّة تثري الفصحى وتكسبها مزيدا من الدّقة والتّعبير.(4)"

في المجاز

محطّتي الثانية في الوسائل اللغوية لوضع المصطلحات هي التوليد - أوّلا بما فيه من مجاز. ومجاز الكلام هو ما تجاوز معناه الأصليّ إلى غيره بقرينة مباشرة أو غير مباشرة تدلّ على ذلك. والعرب أبدعوا في هذا المجال، وأكتفي ببضع أمثلة ممّا طوّروه حتى أيام بداوتهم الجاهليّة:

نقلوا مفهوم " الفصاحة" كميزة لِلّبن " الذي أزيل رغوه وبقي خالصه" إلى مفهوم " حسن الكلام وجودته"،

نقلوا مفهوم " الشكّ" من " الوَخْز بشيء دقيق كالشوكة" يؤ لم الجسم إلى مفهوم " التردّد والحيرة وعدم اليقين" ممّا يؤ لم النّفس والعقل،

نقلوا مفهوم "الإبهام" من " الظلام الكثيف لايمكن فيه تمييز الأشياء" إلى مفهوم " الغموض واشتباه المقصود وعدم المفهوميّة"،

نقلوا مفهوم " البلاغة" من " بلوغ غاية المسير" إلى مفهوم " الإيجاز المعجز الرّصين والمنطق الجيّد."

نقلوا مفهوم " المَجْد" من امتلاء بطن الدابّة بـالعلف"، إل معنـى" امتـلاء حيـاة الشـخص أو الجماعـة بالمعـاني النبيلـة والفعل المَكْرُمِي."

باب المجاز واسع في وضع ألفاظ تُمِدّ اللغة بمصطلحات مجدّدة تستجيب لمتطلّبات الحياة المتجـدّدة - فتعبّر عـن معـان ومفاهيم تجدّدت فيها. وليس أبلغ من أثر القرآن الكريم على العربيّة في هذا المجال، كما في سواه. فألفاظ مثـل : الإسـلام ، والقرآن، والإيمان، والجهاد، والحق، والباطل، والصّوم، والرّكوع، والصّراط، والطهارة، والقنوت، والعرش وغيرهـا كثير، كانت معروفة قبل الإسلام بمعناها اللّغوي فقط قبل أن يتوسّع القرآن في دلالاتها على معانيها الأخرى. بل إنّ بعضا من هذه الألفاظ يرد في القرآن الكريم بمعناه الأصليّ في آيات وبمعناه المجازيّ في آيات أخر.(5)

و لم يقف المجاز كعامل في هذا السبيل طوال تاريخ العربيّة ، بل واكبها باستمرار حتى إن بعـض المجـازات - الشـرعية والحضارية والعلمية - غدا حقائق لايرجع الذّهن إلى أصلها إلا بعد البحث والتأثيل. فنحن اليوم لانفهم " البريد" مسافة بين منزلين من منازل الطريق، ولا"الهاتف" صوتا يسمع دون أن يُرى صاحبُه، ولا " العدسة" حبّة عدس. فـالذّهن يحملهـا اليـوم على المعنى الجديد الذي اكتسبته ولازمته. ومثلها طيف ودرّاجة وسيّارة وطيّـارة وبندقيـة ومصـرف ودبّابـة وجريـدة ومجلـة وانتفاضة؛ أو كبرق (للتلغراف) ومُرسِل ومُستقبِل (في اللاسلكي) وخَطّ (في مجالات متعـدّدة) وسِـنّ (في التُّرس المسـنّن) ومكثّف (في الحرارة والكهرباء) وتشخيص (في الطّب والفن) وسلبيّة (في التصوير والجبر والسّياسـة) ولسـان (في التّجـارة والجغرافية) وآلاف غيرها من المجازات والاستعارات نولّدها بترجمة المفهوم بلفظة ننقلها من معنى قديم إلى معنى جديد مجازا أو تشبيها أو استعارة، أو نصوغها في إحدى الصّيغ المتعدّدة التي تناسب المقـام اشـتقاقا. وهـذا يـبرّر إدراج هـذه الوسـيلة في توليد المصطلحات كأحد أبواب الاشتقاق في مدار بحثنا هذا.

مطواعيّة العربيّة في مجالات الاشتقاق

اللغة العربيّة متميّزة في عراقتها وقدراتها الفريدة كلغة اشتقاقيّة من الطّراز الأوّل. ففيها من وسائل الاشتقاق والقيـاس مرونة ومطاوعة وسيطرة على المعاني مايجعلها من أدقّ اللّغات وأصلحها للتعبيرات والمفاهيم المختلفة.

في دراسة حول إمكانات الاشتقاق في اللغة العربيّة يذكر الأستاذ حسن حسين فهمي خمسة عشر صيغة للفعل - نعرف منها فعَل وأفعَل وفعَّل وفاعَل واستَفْعَل وافْعَلّ وافْعالّ وافْعَوْعَل وافْعَوْلّ وانْفَعَل وافْتَعَل وتفَعَّل وتفاعَل وفَعْلَل وتفعْلـل - وكلّ منها له معنى مختلف. فمن " كتَب أو حضَر" - لفعل حَدث، نقـول: أكْتَـبَ وكتَّـبَ، أو أحضَـر وحَضَّـر للتعدية،

وكاتب وتكاتب للمشاركة، وحاضر وتحضّر فيما يتعلّق بالمحاضرة والحضارة، واسْتَكْتَب واسْتَحْضَر للطّلب، وأحيانا للصيرورة كما في اسْتَحْجَر، واكْتَتَبَ للمساهمة وانْكَتَبَ للمطاوعة وتكَتَّبَ للمبالغة؛ هذا عدا عن صيغها للمجهول، مثل كُتِبَ وأُحْضِر واكْتُتِبَ واحْتُضِر..إلخ ممّا لو أردت ترجمته إلى لغة أجنبيّة لاقتضى أداؤه جملة كاملة في عدّة كلمات.

ومن كلّ صيغة من صيغ الفعل هذه يمكن اشتقاق مصادر بأوزان متعددة: فَعْل ومَفْعَل وفَعوليّة ومَفْعولية ومِفْعالية ومِفْعَليّة؛ وصفات بأشكال متعدّدة - فَعِيل وفَعُول وفَعِل؛

واسم آلة بأوزان متعدّدة - مِفْعَل، ومِفْعلة، ومِفْعال، وفاعول، وفعّالة وفاعولة.

بالإضافة إلى اسم الفاعل واسم المفعول واسم المَرّة واسم الهيئة واسم الزمان واسم المكان واسم التفضيل واسم المهنة (6)عدا عشرات الأوزان اللامُصَنّفة في اللّغة مثل سجِلّ:فعِلّ، وتِمثال: تِفْعال، ومِعْوَل: فِعْوَل، وعُشْر: فُعْل، ورَفُول:فَعُّول، وجيشان: فَعَلان، ونُتْفة: فُعْلة، ومَزْلَقان: مَفْعَلان، وصُداع: فُعال، ورَمَد: فَعَل، وحُثالة: فُعالة، ومُصَيْطِبَة: مُفَيْعِلة، ومُغْيَزِل:مُفَيْعِل...وغيرها، بحيث لن يقلّ عدد الألفاظ التي يمكن اشتقاقها من كلّ فعل عن مئتين، وقد يزيد على الثلاثمائة - لا نستخدم منها بشكل فاعل أكثر من ثلاثين. ويبقى المجال متاحا للإفادة من المزيد من هذه الصّيغ المختلفة لأداء معاني مختلفة . قديما قيل: زيادة المعاني في زيادة المباني، وبالمنطق ذاته يقال: واختلاف المعاني في اختلاف المباني.

اللغة العربيّة لغة اشتقاقية من الدّرجة الأولى - وهي إلى حدّ إلصاقية أيضا، فالزيادات بالهمز أو التضعيف أو ألف المشاركة أو ياء النسبة هي في الواقع اشتقاقات إلصاقيّة بدئية أو وسطيّة أو إلحاقيّة؛ كما إنّا نلحظ تقبّلا متزايدا لإلحاقات منفصلة معقولة من نوع التركيب، مثل: فوق بنفسجي أو فوق سمعي وفوق صوتي ولاسلكي وغير فضائي وما ورائي...إلخ.

وللدلالة على مدى فاعليّة الاشتقاق في توليد المصطلحات أُذكّر بدراسة إحصائيّة للدكتور وجيه عبد الرّحمن على 30 ألف مصطلح في معاجم الطبّ والتشريح لاحظ فيها أن توليد هذه المصطلحات كلّها تم بالاشتقاق من 150جذرا فقط إضافة إلى أعضاء الجسم.

فاللّغة العربيّة بجذورها التي تقارب الستة آلاف (7) لن تعْدم مطلقا فيضا من الألفاظ لتغطية مختلف المصطلحات. أضف إلى ذلك إن إمكانية الاشتقاق تقع أيضا على غير الجذور العربيّة؛ فقديما قالوا:زوّق بالزاووق (الزئبق)، وتزَنْدَق من الزندقة، كما نقول نحن أكْسَج وهَدْرَج وكَبْرَت وغَلْفَن وكَهْرَب، وغيرها كثير.

قديما وحديثا، اختلف النّحويون حول قياسيّة القياس، فارتأى فريق منهم التوسّع فيه لمنح اللّغة قوّة وقدرة على مجاراة المستحدثات العلميّة والحضارة المتسارعة، بينما ربطه فريق آخر بالسّماع. ونحن نميل إلى الأخذ بالرأي الأوّل - رأي المدرسة الكوفيّة.

*فكما قال العرب

في المُشْتَرِكة في الجنْس : مُتجانِسة، والمشترِكة في الشكل: مُتشاكِلة.

والمشتركة في السَّمت: مُتسامته ، والمشتركة في الشَّبَه : متشابهـــة،

نقول في المشتركة في الكُتْلة: مُتكاتِلة، والمشتركة في المكان : مُتماكِنـــة

والمشتركة في الجُهْد: مُتجاهِدة، والمشتركة في الطاقة: مُتطاوِقـــة.

*صيغة "مستَفْعَل" استخدمها العرب بمعنى الناتج من فعل أو عنه - فنقول في مُنْتَج كيماوي أو طبيّ"product " **مُسْتَحْضَر**، ونقول في ناتج مُسْتَدَرّ من اللبن "emulsion" **مُسْتَحْلَب**. لكنّك إن قلت في ناتج خَلْط ذَرُور مادة لاتذوب في الماء "مُسْتَعْلَق" مقابل suspension يستهجنونها. وهذا ما أخذه أحدهم عليّ فعلا وهو يناقشني في صلاحية هذا المصطلح ، حتى إنه استخدم التعبير الإنكليزي obscene (أي مُنافٍ للحِشْمَة) في وصفه، ممّا جعلني أتردّد بادء ذي بدء في استخدام هذا المصطلح، لكنّ كوفيّتي في القياس سوّغته.ومع الزّمن والتكرار صرت أستسيغه، وكذلك استساغه كثيرون واستخدموه في هذا السّياق.

*الصّفة المشبّهة "فَعُول" لم يتّفق جمهرة النّحاة على قياسيّتها بمعنى "صَالِحٌ لِـ" أو "قابل لِـ" أو "من طبعه أن" أو "في وسعه أن" (فيما يقابل الكاسعة -able أو أحد شكليها الآخرين - ble و - ible) مما حدا بمجمع اللغة العربيّة إلى ترجمة الكلمات المنتهية بهذه الكاسعة بالفعل المضارع المبني للمجهول - (8) فيقال:

يُذاب	مقابل	soluble	ويُطْرَق	مقابل	malleable
يُغْسَل	مقابل	washable	ويُبَاع	مقابل	marketable
يُصْهَر	مقابل	fusible	ويُخثّر	مقابل	coagulable
يُنْقَل	مقابل	movable أو transmissible			

...إلخ.

والمعجم العربيّ مُقِلّ في هذه الصّيغة بهذا المعنى فعلا - لكن هنالك أمثلة كافية، نذكر منها: أَنوس، بَيُوض، جَزوع، حَنون، خَضوع، ذَلول، رَقوء، سَكوت، فَخور- عَبوس، غَيور، قَنوع، كَفور، لَجوج، نَزوع، نَصوح، نَفور، هَتون، هَلوع، وَلود، يَؤوس -(9) ممّا يمكن اعتباره سندا مبرّرا لقياسيّة هذه الصّيغة - فنقول:

في	soluble	ذؤوب	وفي	malleable	طروق
وفي	washable	غسول	وفي	marketable	بيوع
وفي	fusible	صهور	وفي	coagulable	خثور
وفي	movable أو transmissible	نقول			

كما نقول:

خَلوط ومَزوج	في	miscible	وصَبون في	saponifiable
ورَسوب	في	precipitable	وعَجون في	kneadable
وسَحون	في	pulverizable	وقَسوم في	divisible
وسَدود	في	impermeable	ولَهوب في	flammable
وصَبوغ	في	stainable	ومَرون في	flexible

ولعلّ قياسيّة "فعول" في عشرات الألفاظ التي تتقبّل هذه الصيغة (10) يفيدنا في اشتقاقات أخرى تتبع هذه الصّفة كما في صياغة المصدر الصّناعي. فقد كان من قرارات مجمع اللغة العربية، الملحقة بقرار ترجمة الكلمات المنتهية ب - able بالفعل المضارع المبني للمجهول، أن يترجم المصدر الصّناعي منها بصيغة "مفعوليّة"، فيقال:

في	solubility	مَذويّة	وفي	movability	منقوليّة
وفي	fusibility	مَصهوريّة	وفي	malleability	مطروقيّة

رُغْم التناقض الظاهر في أن يكون الاسم:

من	يُذاب	soluble	مذويّة	solubility
ومن	يُنْقل	movable	منقوليّة	movability
ومن	يُطْرق	malleable	مطروقيّة	malleability

ممّا دعا بعضهم إلى مَنْطَقَة القرار الأوّل بصياغة هذه المصادر على وِزان "يُفْعَلِيّة"، يعني أن يقال:

يُذابيّة	حيث قلنا	ذَوَويّة	من ذَوَوب
ويُصْهَريّة	حيث قلنا	صَهوريّة	من صَهور
ويُطْرقية	حيث قلنا	طَروقيّة	من طَروق
ويُنْقَلية	حيث قلنا	نَقوليّة	من نَقول

*لكن رغم القياسيّة الواسعة جدّا التي تتمتّع بها العربية، فإن هناك صيغا لما يتجرّأ أحد بعد على طرقها رغم أنّ المقيسات منها تعدّ بالمئات:

أذكر مثلا أنّا نقول:

صُغْرى	تأنيثا	لأصْغَر
وفُضْلى	تأنيثا	لأفْضَل
وعُظْمَى	تأنيثا	لأعْظَم (بعضهم يُخطّئ من يقول: الدولة الأعظَم)

كما نقول:

سُفْلى	تأنيثا	لأسْفَل
وأولَى	تأنيثا	لأوّل

لكنّا لم، أو لمّا نتجرّأ أن نقول:

هذه الأنبوبة هي الضَّيْقَى بين الأنابيب الشّعرية الضيّقـــــة،

ولا هذه الجُسَيْمَة هي الدُّقّى بين الجسيمات النووية الدقيقـــــة،

ولا الحدّى للأَحَدّ بين الحادّات، أو الرُّقّى للأَرقّ بين الرقيقات،

أو الشُّدَّى للأَشَدّ بين الشديدات.

فلكأنّ شيئا من السّماعيّة في الحسّ اللغوي متأصّل في السليقة العربية، حتى لدى كوفيّي النّزعة في مطلقيّة القياس، يُقيِّد هذه المُطْلقية أحيانا ولو برّرتها الدراسات الإحصائيّة.

ولا ندري إن كان ابن جنّي صاحب مقولة "ماقيس على كلام العرب فهو من كلام العرب" كان يوافق على أن يقال:

هذه الفتاة هي الجُملى بين الجميلات، أو الطُّولى بين الطويلات، أو القُصْرى بين القصيرات.

ولعلّ هذه السّماعية المتأصّلة هي التي دعت النحويين إلى سواغية التذكير وعدمه في "أفعل التفضيل" حتى المسموع فيه التأنيث أحيانا،

فسوّغوا	الأفضل	أو الفُضْلى
	والأصغر	أو الصُّغرى
ولو أنّهم ظلّوا على	الأوّل	والأُولى
	والأسفل	والسُّفلى

النّحت

في وقفتي الأخيرة أو ماقبل الأخيرة على الأصح بين وسائل توليد المصطلحات، لابأس أن أخالف الترتيبيّة التي يوردها البند السادس من منهجية وضع المصطلحات، فآخذ النحت قبل التعريب.

النّحت في اصطلاح الصّرفيين هو أن يختصر من كلمتين فأكثر كلمة واحدة؛ ولايشترط فيه حفظ الكلمة الأولى بتمامها بالاستقراء، ولا الأخذ من كلّ الكلمات، ولا موافقة الحركات والسّكنات.

وبعضهم يرتئي أن للنّحت جذورا بعيدة في تاريخ تطوّر اللغة، فيعيدون "صلْدَم"، وهي في اللغة "الصُّلْب المتين والشديد الحافر من الدواب"، إلى صَلْد وصَدْم، و"قَصْلَب" إلى قَوِيَ وصَلُبَ، و"هَرْوَل" إلى هَرَبَ وولّى، و"بَعْثَر" إلى بعث وثار، و"دَحْرَج" إلى دحر فجرى، وإن كنّا نعتبر اليوم أن هذه ألفاظ معجميّة سليمة لا منحوتات.

نحن ألفنا النّحت بالتعريف المذكور أعلاه في تعابير وزان "فَعْلَل" شاعت كثيرا أو قليلا مثل:

بسْمل في قال: بسم الله الرحمن الرحيم	وحيْعل في قال: حيّ على الصلاة
وحمْدل في قال: الحمد لله	وصلْعم في قال: صلى الله عليه وسلّم
وحوْقل في قال: لاحول ولاقوة إلا بالله	وفذْلك في قال: فذلك هو كذا.

وفي تعابير من الوزن نفسه لم تشع، مثل:

مَشْكَنَ في قال: ما شاء الله كان،	ودَمْعَزَ في قال : أدام الله عزّك.
وطَلْبَقَ في قال: أطال الله بقاءك،	وكَبْتَعَ في قال: كَبت الله عدوّك.

وخلال القرن الحالي دخل اللغة، العلميّة بخاصة، عشرات من هذه الألفاظ بعضها لاقى رواجا ومقبوليّة، مثل الصفات:

برمائي	في	amphibian
وشِبْغروي	في	colloid
وكَهْرمغْنطيسي أو كهْرمغْنيطي	في	electromagnet
وكَهرضوئي	في	photoelectric
وبتروكيماوي	في	petrochemical
وجيوفيزيائي	في	geophysical

أو مثل الأفعال والأسماء المصوغة منها:

تشاكب وتشاكُب	في تشابُه التركيب
وتشاكل وتشاكُل	في تشابه الشكل
وحلْمأ وحلْمأة	في التّحلّل بالماء،

وهي قليلة لايخفى معناها وتركيبها على القارئ، بخاصة في السياق المناسب. وكان من الطبيعيّ أن الكثير من المنحوتات الغريبة المبهمة لم يلق رواجا، فمات في مهده، مثل الأفعال:

حَرْصَم	في	حرّر من الصمغ	وصَلْكَل في	استأصل الكلوة
ونَزْوَر	في	نَزَع الورق	وحَلْكَح في	حلّل بالكحول
وزَهْرَج	في	أزال الهدروجين		

ومصادرها مثل:

حَرْصَمَة ونَزْوَرَة وزَهْرَجَة وصَلْكَلَة وحَلْكَحَة. ومثلها شِبْلَري وشِبْلَريات من شبه بلوري، وشارسبيّة في شاردة سلبيّة وغشجنيّات في غشائيات الأجنحةHymenoptera ، وسَمْبَصي في سمعي بصريaudiovisual ، وما فوسَجية في ما فوق البنفسجيّة، وغرائب أخرى مثل قصْبَر سَغْقَدمي في قصبي رُسغي قدمي. وكلّها ممّا يستغلق فيه المعنى ويمجُّه الذّوق.

فالعرب المشهورون بفصاحتهم وسلامة سليقتهم لم يستسيغوا مثل هذه التراكيب. وهذا يفسّر ندرة استخدام النحت قديما وحديثا في صياغة المصطلحات، حتى إنّ بعضهم يقدّر أن المنحوتات الشائعة في العربيّة لاتتجاوز المئة عدّا.

وفي إحصاء أجراه الدكتور وجيه عبد الرحمن شمل ثلاثة معاجم صدرت عن مكتب تنسيق التعريب – أولها في الفيزياء (تعداد ألفاظه 5126)، وثانيها في النفط (تعداد ألفاظه 3802)، وثالثها في الطبّ (تعداد ألفاظه 2305)– لم يجد سوى ثلاثة عشر مصطلحا صيغت بالنّحت(11).

ولعلّنا نزيد هذا العدد كثيرا إذا اعتبرنا التركيب المَزْجيّ بالإلصاقات المنفصلة ضربا من النحت في مثل لاسلكي ولاأخلاقي ولاشعوري ولاأدْريّة ولا ساميّة وأمثالها. أو مثل فوق سمعي وفوق بنفسجي وفوق صوتي وفوق إشباعي وفوق مجهري وتحت تُربي وما ورائي وأمثالها.

*وقبل أن أترك سبيل النّحت بشكليه الاختصاري والمزجي أشير إلى ضرب جديد من النحت الذي يمزج ألفاظا أعجميّة أو معرّبة مثل بارامغنطيسي ودايامغنطيسي ومِتافيزيقي؛ وقد نجد لها مبرّرا ، أو يمزج ألفاظا أعجميّة مع أخرى عربيّة مثل: جمالوجيا في esthetics وفكرولوجيا في ideology. ونترك الحكم على مثل هذه المنحوتات الجريئة للزّمن؛ فالزمن والاستعمال كثيرا ما يصقلان ما لا يألفه الذوق آنيا فيصبح مستساغا مقبولا تاليا.

وأنتقل إلى آخر سُبُل هذا البند - سبيل لا يقل أهميّة عن الاشتقاق، وأحيانا لا يقل إشكاليّة عن النحت - عَنَيْتُ به التعريب.

في التعريب

تحمل لفظة التعريب لغويّا معنيين رئيسيّين - نقول: عرّب الكتاب (تعريبا): ترجمه، أي نقله من لغة أعجميّة إلى العربيّة، وعرّب اللفظة: صبغها بصبغة عربيّة عند نقلها بلفظها الأجنبيّ إلى اللغة العربيّة.

والتعريب بمفهوميه هذين - التّرجمة والاقتراض، كان دوما أولى الوسائل، بل أهمّ الوسائل، في نقل المعرفة والتعامل مع المصطلحات - كما هي الحال آنيّا وسالفا في كلّ اللغات.

واتّخذ لفظ التعريب معنى شموليّا منذ مطلع هذا القرن إثر استبدال لغة أجنبيّة باللغة العربية في تدريس الطّب وموادّ العلوم في القاهرة وبيروت، فأكسبت حركات تعريب التعليم اللفظ مفهوما أسماه المرحوم الدكتور حسني سبح "الاستعراب"، أي إحلال اللغة العربية محلّ اللغات الأجنبية في تعليم سائر مواد المعرفة في الوطن العربي - عدا اللغات الأجنبيّة ذاتها، مع إمكانية استخدام المصطلحات التي تتعسّر ترجمتها بلفظها الأجنبي.

في الواقع ، التعريب بمفهومي التّرجمة والاقتراض خاصة، يلخّص قضيّتنا مع المعارف الحضارية المتجدّدة ومصطلحاتها، اليومَ كما عبْر تاريخ العربيّة الطويل - هكذا كان على مدى تاريخ اللغات في صراعها مع الحضارات، وهكذا هو اليوم. والعربيّة ما شذّت يوما عن هذا رغم ما يبديه بعضهم من التخوّف على جوهر العربية وجَلالها من تعريب الاقتراض. طبعا العرب، قبل الإسلام وبعده، عبر احتكاكهم بالحضارات المختلفة، اكتسبوا من الحضارات الأخرى وأكسبوها معارف وأفكارا في مختلف مناحي الحياة بحصيلتهم اللّغوية الذاتية؛ ولكنّهم أيضا اكتسبوا من الحضارات الأخرى معارف وأفكارا في مختلف مناحي الحياة مع مقترضات لغوية زادت من ثراء لغتهم ومن قوّتها التعبيريّة في مجال المعارف المكتسبة وغيره من المجالات. وهكذا اكتسبت اللغة العربيّة مئات الألفاظ الدّخيلة التي هضمتها في كتبها وآدابها حتى ليبدو الكثير منها عربيّ النّجار أكثر من كثيرمن الألفاظ العربيّة العريقة الحسب والنسب!

خذ مثلا (وأختارها ألفبائيّا):

إبريق، أستاذ، بَخُور، بَلْطة، بِلّوْر، بطاقة، تَخْت، ترجمة، جَرَّة، حاجـــــب، حِنّاء، دِرْهم، دَواة، دِينار، زُلال، سَدّ، سَراب، سَيف، صَبا، صِراط، عَنْبـــر، فَتيلة، فُرْن، فِيل، قَصْعَة، قَفَص، قَلم، قِنْديل، كأس، كُرسي، كَفّ، كوفيـــة، لَجنة، مِسْك، ناطور، نَرجس، هاوَن، وَرد، وَزير، يَمّ، وغيرها كثير .

أو حتّى ألفاظ مثل:

إبريسَم واستَبْرق وإسطَبْل وإقليم وتِرياق وخَنْدَق وديباج ودِرْفس وزَنْجَبيـــــــل وسَجَنْجل وطراز وطَشت وفالُوذَج وفِرْدَوس وفِرِنْد وفَنار وقـــــانون وقَرَنْفُـــل وقِسطاس وقَسْطَل وقِنطار وكافور ومِشكاة ومُصْطكى ومَنْجَنيق، ممّا لا تزال مسْحة العُجْمة بيّنة فيها - لكنّها كلّها دُرَرٌ وضّاءة جليلة وعزيـــــزة في كيـــــــان العربيّة وتراثها.

كذلك اكتسبت العربيّة، بخاصة عربيّة صدر الإسلام وما بعده، عربيّة عصور الازدهار العلمّي والحضـاريّ، مئـات - بل بضعة آلاف - من الألفـاظ الأعجميّـة، مصقولـة أو دون صقـل، استوعبت بواسـطتها الحضـارات اليونانيّـة والفارسـيّة والسّريانيّة والهنديّة التي جابهتها - ألفاظ مثل:

اسْطَقْس وغُنْطازيا وهَيُولي في الفلسفة، وأُسْتُقس وبَطراليون وبُوريطِـــــس وخَلْقيدون ومَرْقَشيتا في الكيمياء، وقُولون وبَريطون وبَنقراس ومَسـاريقَى في الطب، وإطريفِل وقَنْطَريون وطَرَخْشَقون وفَرْبيُون وبوغَلْصِن فـــــي النبات، واسْقَنْقور وبَطلينوس وسُفَنْج وطرَسْتُوج وقَنْيون في الحيـــوان- ألفاظ فتحت مجالات اللغة واسعة أمام العلم وأهل الاختصـــــــاص، وجعلت العربيّة لغة العلم والعلماء طوال عدّة قرون.

التعريب الاقتراضيّ لم يُرْهب العلماء العرب الذين كانوا يريدون العربيّة لغـة لأهـل العلـم كمـا هـي لغـة للعمـوم؛ لم يخلطوا بين ما هو من صلب اللغة ويشترك فيه أهل اللغة كلّهم، وبين ما هو خارج صلب اللغة ، وهو لغة خاصّة قد يَدخـل بعضه الذي يشتهر، أو تدعو إليه الحاجة تاليا منه، إلى صلب اللغة.

أغنى مصادر العربيّة بالمصطلحات المعرّبة هي كتب المفردات - وهي أولى الكتب التي هرع تراجمة العصـور الوسطى ينقلونها إلى اللغة اللاتينيّة في بدايات عصر النهضة في أوروبا. الأستاذ الباحث إبراهيم بن مراد، من أركـان جمعيّـة المعجميـة العربية بتونس أجرى إحصاءات حول المصطلحات اليونانيّة والأجنبيّة في بعض تلك المؤلّفات ، فوجد أن نسبة تلك الألفـاظ تقارب الخمسين في المئة أحيانا - فهي تؤلّف 46 ٪ في " الجامع لابن البيطار"- 1082 مفردة أجنبيّة في مفرداته البالغة 2353؛

وقد تصل إلى نسب أعلى في مثل " كتاب الأدوية المفردة" لأبي جعفر أحمد بن محمد الغافقي حيث تبلغ المقترضات الأجنبية 1153 مصطلحا ممّا مجموعه 1772 مفردة، أي حوالي الثّلثين.

الفطاحل من السّلف عرّبوا ترجمة واقتراضا وجلبوا للعربيّة حضارة ورفعة وعزّة. و لم تَهُنِ العربيّة إلاّ حين توقّفت تلك الحركة مع اجتياح المغول وتنفُّذ السلاجقة وسيطرة العثمانيّين.

السّلف عرّبوا في مجابهة حضارات شبه مستقرّة على مدى فترة استمرّت قرابة ثلاثة قرون. والخلف، بضعة الأجيال أمسِ ونحن اليومَ، في نهضتنا العتيدة نجابه موقفا أشدّ إلحاحا أمام فيض الألفاظ والمصطلحات الحضارية- حضارة جهلنا حتى ما كان لدينا منها بعد أن غِبْنا عنها وعن تطوّرها قرابة خمسة قرون، حتى تكدّس من مصطلحاتها المستقرّة ما يناهز ربع المليون – في حين نجابه في الوقت نفسه تسارعا حضاريّا لا نستطيع تجاهله وهو يتشابك مع شؤون حياتنا في مختلف المجالات – في المنزل والشارع والحقل، في المدارس والجامعات، في الهواء والفضاء وأساليب العيش. فهل يصلح الخلف بغير ما صلح به السّلف؟

كلّنا طبعا نهفو إلى المصطلح العلميّ المعرّب المؤدَّى ترجمة، والمؤدّي معنى ودقّة – بخاصة في المصطلحات التي تفرض نفسها على التداول الشعبيّ، لا في مجالات العلم فقط بل في مختلف مجالات الحياة – من قبيل:

ذرّة	مقابل	atom	أو كَمّ	مقابل	quantum
وجُزَيْء	مقابل	molecule	و سَاتِل	مقابل	satellite
وطاقة	مقابل	energy	ومِدالة	مقابل	dial
وقدرة	مقابل	power	وطيف	مقابل	spectrum
وقصورذاتي أوعطالة	مقابل	inertia	أو حاسوب	مقابل	computer
وثقالة أوجاذبيةأرضية	مقابل	gravity	وآلاف المعربات ترجمة بجرس عربي ومفهوم محدّد دقيق.		

إنّ التعريب ترجمة له أولويته طبعا، لكن له إمكاناته المحدودة أيضا. والذين حاولوه فيما هو فوق إمكاناته – حماسا عاطفيّا – لم يأتوا بأكثر من ألفاظ ساذجة ضبابيّة عربيّة الجَرْس لكن خاوية المعنى والمبنَى، بعيدة عن الدقة العلمية والواقعية، في مثل قولهم:

في الأكسجين	المُصدئ	وفي المغنسيوم	الضوّاء
في الهدروجين	المُسيه	وفي الغرافيت	الخَطوط
في النّتروجين	المُخصب	وفي الميثان	الآجل
وفي اليود	المُقرم	وفي الإيثان	الطاسل
وفي الصوديوم	الشدّام	وفي البيوتان	الجائل

أو

الابتدائية أو الأوّيل	في البروتون	والكاشوف	في الرادار

والمتعادلة	في النيوترون	وعلم الهَلَك	في الجيولوجية
والمُحوز	في الترانزستور	وحِقْبَة الراعية	في الميوسين
والمِشْواف	في التلفزيون		

متجاهلين أو جاهلين أن المركّبات الكيماوية وحدها تفوق المليون، والعضويات الدقيقة تقارب هذا العدد، وأسماء النباتات والحيوانات تفوق المليونين، والمسمّيات الهندسيّة والإلكترونيّة تقارب ضعف ذلك، ممّا يجعل التعريب بالاقتراض أمرا واقعا لاخيار لنا فيه، إضافة إلى أنّ كلّ هذه المسمّيات تكاد مشتركة بين العلماء والباحثين في كل لغات العالم.

والذين يطلبون التعريب الشامل ترجمة في مثل هذه المصطلحات كأنّهم يطلبون ما هو غير عمليّ وغير مستطاع - لا تستطيعه المؤتمرات ولا المجامع ولا حتى تستطيعه اللغة نفسها، لا العربيّة ولا سواها من اللغات.

الفرنسيّة لغة عصريّة وغنية أدبا وحضارة وعلما؛ وخبراء التقنيات النفطية والنوويات منكم أدرى بكمّية المصطلحات الإنكليزية أو الأمريكية التي اقترضها الفرنسيون في هذه المجالات. حتى في مجال الأدبيّات فإن الذين ترجموا هيغل إلى الفرنسيّة استعملوا،دون تحفّظ،المصطلحات الألمانية التي عجزوا عن إيجاد المصطلحات الفرنسيّة لها.

وحبّذا لو يقنع طيّبو النية بأن وقفتهم من التعريب بالاقتراض، في مجالاته، تسهم من غير أن يدروا في عرقلة تطوّر الفكر العربيّ نحو التحديث؛ ويعطون أعداء العربيّة المحتجّين لإعاقة استعراب التعليم بانتظار أن تتوافر له المصطلحات وتتكامل، الفرصة التي يريدون. ونطمّن المتخوّفين إلى أن مثل هذا التعريب بالاقتراض في مجال العلوم المتخصّصة لن يضير صفاء اللغة لأنه سيبقى في قاموس المتخصّصين وأبحاث المتعمّقين في مجالات هذه العلوم، ولن يتسرب منه إلى صلب اللغة - بخاصة لغة الأدب والبيت والمجلس إلاّ القليل القليل ممّا يرشّحه شيوع استخدامه في الحياة اليوميّة ويطوّعه ذوق المستخدمين وسليقتهم - في مثل:

راديو وتلفزيون وبَسْتَرة وكيلومتر وليزر وهُرمون ونِترات وجيولوجية وأمبير وفلط وواط؛ وهي حتما محدودة بإطار الشيوع الحضاريّ والعموم هذا - تماما كما حصل فيما سبق وعرّبه السّلف اقتراضا في ما بين القرنين الثاني والثامن الهجري، وصار بعضه من تراث اللغة يغنيها ولا يضيرها.

المنهجيّة والتطبيق

تطبيق المنهجيّة في مجال الوسائل اللّغوية لتوليد المصطلحات الجديدة التي تطرّقت إليها أو سواها يتطلّب دراية مصطلحيّة معمّقة - لا يسهل عمليّا إعطاء وصفة محدّدة لتحقيقها.

يقال إن أحدهم سأل ألْدوس هكْسلي: بماذا تنصح من يريد أن يصبح كاتبا؟ فأطرق هكسلي، وكأنه فوجئ بالسؤال - ثم تصنّع الجدية وقال:

يشتري قلما وورقا وقنّينة حبرا

ولو سئلتُ بماذا أنصح من يريد أن يصبح مصطلحيًا لأضفتُ إلى عناصر هكسلي متصنّعا الجديّة نفسها " وبضعة قواميس."

وقد سبق لي في ندوات عديدة أن قدّمت أمثلة عديدة على مصطلحات تعكس أن بعضهم يأخذون مثل هذه الأجوبة على محمل الجدّ.

وسأكتفي هنا بمثال واحد - جاء على شكل كتاب من زميل إلى رئيس تحرير مجلة اللسان العربي، التي نُقدرها ونُجلّها، ينتقد فيه قائمة مصطلحات نشرت في المجلة كمشروع معجم - وعاتبا أن تنشر المجلة مثل تلك المصطلحات - حيث إن الناس عادة يأخذون هذه المصطلحات على أساس أنها معدّة من قبل مصطلحيّين موثوقين.

ويورد الأستاذ الناقد قائمة بتلك المصطلحات أورد فيما يلي عيّنات محدودة منها:

المصطلح الانكليزي	المقابل العربي المذكور	المقابل المصحح
absurdity	مُحال	سُخْف،شيء سخيف أو مناف للعقل
adequation (يقصدadequacy)	مُطابقة	كفاية أو وفاء بالمراد
additive	ضمّ، مضموم	جمعي، إضافي
adult	كَهْل	بالغ، راشد
aptitude	استعداد،مؤهل	استعداد، أهليّة، قابليّة
intercepting	التقاط	اعتراض، حَصْر
combination	توافُق	ضمّ، اتحاد، توافقية
decode	كشَفَ عن	يحلُّ الشّفرة
frustring (يقصدfrustrating)	كابت	مُحْبِط، مُثَبط للهمة
no-hypothesis (يقصد null hypothesis)	فَرْضية لاغية	فَرْض صِفْري
pronounced	بادٍ	واضح ، صريح ، قاطع...إلخ

أمّا المصطلحات التالية فيكتفي الناقد بتصحيح نصّها الانكليزي:

TV shut-circuit	(يقصدclosed circuit)	دارة تلفزيونية مغلقة
teached	(يقصدtaught)	متعلّم
handicapated	(يقصدhandicapped)	مُعاق
no securized	(يقصدinsecure)	غير مطمئن
question at multiple	(يقصدmultiple-choice question)	سؤال متعدد الاختيار
inquiry	(يقصدquestionnaire)	استبيان، استمارة أسئلة
scientificity	(يقصد scientism)	
under group	(يقصد sub-group)	

واضح طبعا أن الأستاذ واضع المشروع المعجمي قد ترجم مصطلحاته الإنكليزية والعربيّة عن مصطلحات فرنسيّة، وواضح أنّ معرفته بالانكليزية لا تحتاج إلى تعليق.

وللطّرافة فقط، وللتلميح إلى مشكلة هي علّة بارزة في بعض الأعمال المعجمية المصطلحيّة الجيّدة عموما، لكن الملوثة أحيانا بأخطاء تعود إلى الاعتماد على لغة ثالثة يجيدها المؤلّف لتلافي عدم تضلّعه من إحدى اللغتين اللتين يُمعجم أو يضع مصطلحات في إحداهما،أروي مثالا معبّرا من عمل معجميّ بعيد نوعا عن خصوصية العمل المصطلحي.

أذكر مرّة أن مؤلّفا حمل إليّ مشروع معجم ثنائي، تركيّ - عربي، مبرّرا المشروع بأن آلاف الطلاب العرب الذين يدرسون في تركيا يتلهّفون إلى مثل ذاك المعجم.فطلبت إليه أن يترك لي نسخا ضوئيّة عن المخطوطة لأعرضها على خبير في اللغة التركيّة؛ وحدّدت له موعدا يعود فيه لمراجعتي.ولّما اقترب موعدي مع المؤلّف ، ولّما أوفّق بإيجاد الخبير التركي، استعنت الله وأخذت أقارن مقابلات موادّ المعجم العربيّة على معجم تركي - انكليزي، وسجّلت بعض الملاحظات على عدّة ترجمات وجدتها تباين المفهوم الذي يعطيه المرادف الانكليزي.

وحين حضر المؤلّف ، رُحْتُ أناقشه في دقّة التّرجمة العربيّة، مقابل موادّها التركيّة. وما إن انتهيت حتى قال لي حضرته: لماذا لاتشاركني في هذا المعجم - تراجعه وتنشره. وإذا بحضرته لايعرف التركيّة؛ ومرادفاته كلّها ترجمة عن الفرنسيّة من معجم تركي - فرنسي!

أساسيّات العمل المصطلحي، قبل الورق والقلم والحبر، هي معرفة كاملة بالموضوع ومعرفة كاملة باللغتين اللتين ينقل المترجم عن إحداهما ويصطلح في ثانيتهما - إضافة إلى دراسة منظّمة لما لدينا من مصطلحات تراثية عصرية، حتّى في غير مجال حقله، والتعرف إلى المشهور منها واستيعابه واكتناه قواعد ووسائل اشتقاقه، والتدرّب على تطبيقات تقانية قبل ممارسة صياغة المصطلحات فعلا. لقد أضحى علم المصطلح اليوم، كما المعجميّة، دراسة تخصّصيّة تتطلب حتى فوق كلّ ما ذكرت قابلية شخصيّة ومرونة لغوية وسعة أفق وصبرا وأناة وحبّا عميقا للغة التي يصطلح المصطلحيّ فيها.

لقد عرفت العربية مصطلحيّين ومعجميّين أفذاذا تحقّقت فيهم هذه الخصائص الذاتية والمكتسبة علما ومنهجيّة وقابليّة، فأثْروا اللغة بأعمالهم - أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر محمد عمر التونسي ورفاعة الطهطاوي وإبراهيم اليازجي وأحمد فارس الشدياق وبطرس البستاني وكرنيليوس فان دايك ومحمد شرف وأحمد عيسى وثلاثي معجم كليرفيل الخياط وخاطر والكواكبي ويعقوب صروف والأمير مصطفى الشهابي وغيرهم ممّن تعرفون.

لكنّا بحاجة، لا إلى أفراد من مثل هؤلاء فقط، بل إلى كتائب منهم فاعلة في كل ميدان - عدّة آنيّة ومستقبلية للّحاق بالموكب الحضاري المتسارع ومواكبته. ولعلّ جامعة المصطلحات التي سمعنا وقرأنا مشروعا بها كان عرضه سيادة الأخ الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس هذا المجمع - لعلّ هذه الجامعة هي المؤسسة المثلى لإعداد مثل هذه الكتائب يؤمّها حاملو الدبلومات العرب من مختلف أقطار الوطن العربي في مختلف الاختصاصات. وفيها يتثقّفون بالاطّلاع والممارسة في مجال

المصطلح عموما ثمّ كلّ فريق في متطلّبات وتراث اختصاصه، ويتخرّج واحدهم خبيرا مصطلحيّا يظل على اتصال بجامعته والزملاء في مجال اختصاصه، فنضمن الخبرة والتواصل والمصطلح الجيّد الموحّد.

سبل نشر المصطلح الموحّد وإشاعته

أوّل سبل نشر المصطلح وآخرها هي وضعه في متناول أهله وطالبيه:

*المصطلح العلمي والأكاديمي يعمّم في الجامعات والمعاهد بتعريب التعليم، وهذا موضوع قيل فيه الكثير، ولا بأس أن أزيد عليه القليل.

ياسادتي المصطلح ينتشر حين يصبح عملة مقبولة.إن الاستمرار في تدريس العلوم والرياضيات وسواها من المواد الرئيسيّة في برامج جامعاتنا وبعض مدارسنا بلغة أجنبيّة هو إذلال للغة العربية، وللمصطلحات العربية، بل إذلال للشخصية العربية والمعنويات العربية.

إن الشاب العربي ، الطالب اليوم والمثقّف غدا، الذي يرى الموادّ الرئيسية تدرّس بلغة أجنبيّة وأنه يتقدّم للامتحانات الحاسمة في مصيره بها، يتأصّل في قرارة نفسه - شئنا أم أبينا - دونيّةُ العربيّة في المرتبة عن اللغة الأجنبيّة. وهذا الموقف للأسف لايقتصر على الطالب وحده، بل إنّه يتأصّل في لا وَعي الأهل في الكثير الكثير من الحالات - وأحيانا حتّى في لا وعي الأساتذة والمسؤولين.

إنّ المثقّف العربيّ لو يتجاوز الزمن أمام هذا الموقف، لَيَستشْعِرنَ الخجل من نظرات السّلف العظام، أمثال ابن سينا والرازي وجابر وابن الهيثم والبيروني والخوارزمي وابن رشد الذين ظلّت كتبهم مراجع لعلوم الغرب على مدى عدّة قرون، وهم يرونا نطلب العلم، بل ونلقّن العلم لأبنائنا بلغة أجنبيّة.

إن رفع هذا الحصار والإذلال عن اللغة العربيّة منطلق ضروري لنشر المصطلح العربي وإشاعته.

*والمصطلح لاينتشر إن لم يكن في متناول المؤلّفين والمترجمين والإعلاميين- وكلّهم ذو دور فاعل في مجال نشر المصطلح.

*وسائل الإعلام يمكن أن تكون عاملا ناجعا في سبيل نشر المصطلح العربي على نطاق واسع. فالجريدة الناجحة توزّع في يوم، كما المجلة الناجحة في أسبوع، أكثر مما يوزّع من كتب علميّة أو أدب علمي في عام؛ والبرامج الإذاعية والتلفزيونية تبثّ إلى الناس طوال ساعات اليوم.

إن وسائل الإعلام للأسف، كما يقول المرحوم الأستاذ شكري فيصل، لا تُستخدم استخداما مفيدا أو منتجا في الوطن العربي- بخاصة في المجال العلمي، فهي إلى المتعة أقرب منها إلى الفائدة، وإلى إضاعة الوقت أكثر منها إلى الاستفادة من الوقت، وأنّها إلى العمل السياسي أدنى منها إلى العمل العلمي الدائم.(12)

ويقيني أنه لو توفّر لوسائل الإعلام - والصحافة بخاصة، أن تُطعَّم بالصحافيين، العلماء منهم والمصطلحيّين، فإنها ستكون من أهمّ وأفعل وسائل نشر المصطلح وتوحيده. ولا مثل أدلّ على ذلك من المقتطف أيام ضمّ فريق العمل فيها أمثال يعقوب صرّوف وفارس نمر وأنستاس الكرملي وشِبْلي الشميّل.

*تعميم المصطلح جزء من مسؤولية جامعة المصطلحات التي أُشرتُ إليها سالفا، ولعلّ مكتب تنسيق التعريب كان يكون أفعل في اضطلاعه بقسم كبير من هذه المسؤولية لو تسنّى له دعم من مثل هذه الجامعة، تُوحّد الكتاب العلميّ وتيسّر تبادل الأساتذة والطّلاب والباحثين بين جامعات ومعاهد الوطن العربي.

*والمعاجم الثنائية الجيّدة الموثّقة كانت وتظلّ إحدى أفعل السّبل في نشر المصطلح وتوحيده. وهنا أيضا أرى دورا مهمّا لجامعة المصطلحات في مجال معاجم المصطلحات العلميّة من حيث توثيقها وتنسيقها ومتابعة تحديثها.

المعجم الجيد في موضوع هو السّفير الأنشط والأفعل في نشر وتوحيد مصطلحات ذلك الموضوع - فهو محطّة اليد والفكر الأولى حين يواجه الطالب أو المثقّف أو الصحافيّ أو الإعلاميّ أو المحاضر أو المؤلّف مصطلحا لمفهوم يواجهه بلغة أجنبيّة ويريد استيعابه في حصيلته اللغوية في مناقشاته ودراساته ومقالاته ومحاضراته ومؤلّفاته.

لقد لحظنا هذا الأثر جليّا عبر ربع القرن الماضي إثر صدور بضعة من هذه المعاجم التي تعرفون في الطّب والعسكريّات والمصطلحات العلميّة والفنيّة والهندسيّة ومصطلحات الحَوْسبة والحواسيب.

وأخيرا وليس آخرا، ونحن في عهد الحواسيب والمكانز وبنوك المعلومات أتمنّى على اتّحاد المجامع العربيّة أن يعمل بالتعاون مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم على تفعيل الشبكة العربيّة للإعلام المصطلحي Arabterm التي تأسّست في تونس عام 1989 لهدف الإعلام عن النشاط المصطلحي العربي وإتاحة تواصله بين المتعاملين به بأيسر الطرق وأقلّ التكاليف، وإقامة علاقات متبادلة بين هذه الشبكة والمؤسّسات المصطلحيّة الدّولية، وبخاصة إنفوترم Infoterm ومنظمة الأمم المتحدة وهيئاتها المختلفة، والاستعانة بما لديهم من خبرة وخبراء ممّا يمكن الإفادة منه في مجال المصطلح العربي ونشره. فمن خلال مثل هذه الشبكة الشاملة سيتسنّى لنا بشكل أوفر مجاراة النشاط المصطلحي العالمي - وضعا وتوثيقا وتنسيقا وتوزيعا ومعجمة وتحديثا متواليا. وستكون هذه الشبكة مفتاحا إلى آفاق أوسع - لاآفاق نقْل التكنولوجية ومصطلحاتها ومعارفها فقط، بل آفاقُ الإبداع المعرفي والتّقانيّ الذي سيجعل من بعض مصطلحاتنا مستقبلا مصطلحات دولية - وهو أمر سبق لنا أن حقّقناه أيام السّلف الأماجد،

وليس تحقيقه بمستحيل على الخلف المجدّين!

الهوامش:

(1) حمل هذا القاموس اسم "قاموس الشذور الذهبية في الألفاظ الطبية" و لم ينشر للعموم إلا حوالي مئة صفحة بإشراف الدكتور أحمد عيسى، عام1910 . أما نسخة المعجم الأصلية فقد أهداها كلوت بك، أحد العاملين مع الدكتور بيرون، إلى المكتبة الأهلية في باريس عام 1851.

(2) مجلة مجمع اللغة العربية(مجمع فؤاد الأول حينئذ)، العدد الأول، ص 22 . ومابين الأقواس من أمثلة هو من إضافتي.

(3) في العراق 1947 وفي عمان 1976وفي تونس 1983 وأخيرا لا آخرا في الخرطوم 1992.

(4) "العامية الفصحى" لمحمود تيمور - مجلة مجمع اللغة العربية - العدد 13.

(5) نُحيل من يريد التوسع في مبحث "الوجوه والنظائر، أو الأشباه والنظائر، في القرآن الكريم" إلى أعمال هارون بن موسى توفي عام170 هـ ويحيى بن سلام توفي عام 200هـ وعبد الله الدامغاني توفي عام478 هـ وابن الجوزي توفي عام 597 هـ وغيرهم.

(6) يقترح بعضهم صيغة فِعالة لاسم بعض العلوم الحديثة مثل:

كِهافة: علم الكهوف	speleology
نِسابة: علم الإنسان	genealogy
ضِراسة: علم الأضراس	odontology
ثِداوة: علم الأثداء	mastology
شِياخة: علم الشيخوخة	gerontology
وطِبابة لما له علاقة بالطب عونا أو صيدلة	paramedics

(7) في الإحصاء الذي أجريناه في دائرة المعاجم، مكتبة لبنان، على مواد "محيط المحيط"لبطرس البستاني بلغ عدد هذه الجذور 7360 فعلا، منها 5703 أفعال ثلاثية.

(8) ص 75 -"مجموعة القرارات العلمية في ثلاثين عاما"-مجمع اللغة العربية، القاهرة 1963.

(9)الأستاذ محمد شوقي أمين أورد ما يزيد على المئة منها مصوغة على وزن فَعُول-أوردتُ هنا الشائع منها.يراجع"كتاب في أصول اللغة" جـ2 مجمع اللغة العربية 1975، القاهرة.

(10) لقد أحصيتُ منها ما يقارب المئتين قدّمتُ في مذكرة إلى مجمع اللغة العربية في مؤتمره الثامن والخمسين بعنوان " حول صياغة فعول من الفعل "نَقَل" صفةً لما يمكن نقلُه أو انتقاله."

(11) مجلة اللسان العربي، العدد 19.

(12) قضايا اللغة العربية المعاصرة - مجلة اللسان العربي، العدد 26.